

Al-Zaytouna Centre
for Studies & Consultations



مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات

حلقة نقاش

أزمة المشروع الوطني الفلسطيني والآفاق المحتملة

الجلسة الأولى

رؤية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لأزمة المشروع الوطني الفلسطيني

مقدم الورقة: د. ماهر الطاهر

فندق كورال سويتس - بيروت - لبنان

الخميس 28 حزيران / يونيو 2012

رؤية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لأزمة المشروع الوطني الفلسطيني

د. ماهر الطاهر*

أتوجه بالشكر لمركز الزيتونة للدراسات والاستشارات على مبادرته الكريمة بعقد هذه الندوة وأتوجه بالتحية للأخ العزيز د. محسن صالح مدير المركز.

سأتحدث برؤية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورؤيتي، ولا أستطيع أن أتحدث باسم كل اليسار الفلسطيني لأنني لا أضمن بأن ما سأقوله يعبر عن وجهة نظر أطراف اليسار المختلفة. سأحدث بإيجاز وتكثيف متتالياً بعض النقاط الأساسية حول أزمة المشروع الوطني الفلسطيني والآفاق المحتملة.

تعيش الساحة الفلسطينية أزمة عميقة وشاملة تطال مختلف جوانب العمل الوطني؛ فكرياً وسياسياً، تنظيمياً وكفاحياً، أي أن الأزمة لها أبعاد مختلفة. أزمة سياسية، أزمة على الصعيد العسكري والمقاومة، أزمة رؤية وفقدان لاستراتيجية عمل واضحة على جميع الأصعدة. بعد نكبة 48 عاش الشعب الفلسطيني حالة ضياع ولكنه نهض من تحت الركاب وفجر ثورته المسلحة عام 1965 وكان قبل ذلك قد تم تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية بقرار عربي سنة 1964 وتم صياغة الميثاق القومي للمنظمة التي عبرت عن الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني.

شكلت هزيمة حزيران/ يونيو 1967 نقطة تحول في الواقع العربي والفلسطيني ونهضت الثورة الفلسطينية المسلحة كأحد أشكال الرد على الهزيمة، وكانت الثورة في نقطة متقدمة وفرت تعويضاً نفسياً هائلاً بعد الهزيمة، ولكن لم يدرك الكثير من الناس أن القضية الفلسطينية دخلت في منزلق خطير ومرحلة جديدة. لأن قضية فلسطين مرتبطة بشكل جدلي وثيق مع الوضع العربي تتقدم بتقدمه وتتراجع بتراجع.

* عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومسؤول قيادتها في الخارج.

بعد 1967 تمّ استبدال شعار تحرير فلسطين، بشعار إزالة آثار العدوان والموافقة على القرار 242 والحديث عن الانسحاب من الأراضي المحتلة سنة 1967. وهذا انعطاف كبير واستراتيجي ترتب عليه الكثير من النتائج والخيارات.

بعد حرب أكتوبر 1973 حصل انعطاف آخر في الوضع العربي ترك تأثيره الكبير على الوضع الفلسطيني وتمّ الانتقال العملي لفكر التسوية والمفاوضات والحل السياسي، وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد الذي أخرج مصر أكبر دولة عربية من دائرة الصراع، وأدى هذا إلى تدمير هائل للقضية الفلسطينية، على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي.

وانقلبت الساحة الفلسطينية ذاتها بتأثير الوضع العربي والدولي من فكر المقاومة والتحرير الشامل إلى فكرة ونهج التسوية في ظل اختلال عميق في موازين القوى.

وتم طرح فكرة الحل المرحلي والدولة الفلسطينية على أراضي 1967 وهنا بدأت باعتقادي الأزمة في الساحة الفلسطينية.

وانقسمت الساحة الفلسطينية انقساماً عميقاً بين نهج التسوية ورفض التسوية. وتأسست جبهة الرفض إلى أن تم الاتفاق على الهدف المرحلي بعد مخاض وصراع طويل ولكن تم الاتفاق على هذا الهدف على أساس ربط المرحلي بالاستراتيجي واعتبار الدولة على أراضي 67 خطوة على طريق تحقيق الهدف الاستراتيجي بتحرير فلسطين، وتم رفع شعار حق العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس. كشعار وهدف مترابط، وشكل ذلك برنامجاً ل.م.ت.ف.

وهنا يبقى طرح سؤال أساسي. هل وقعت القيادة الرسمية والساحة الفلسطينية في خطأ استراتيجي عندما تبنت فكرة الهدف المرحلي أم أن هذا شكل تطوراً في عقل السياسي الفلسطيني؟ هذا السؤال يحتاج إلى نقاش جاد وموضوعي وصادق في الساحة الفلسطينية.

هل هذا الهدف المرحلي ما زال صالحاً، أم هناك استحالة للوصول إلى حل سياسي مع الكيان الصهيوني؟

إن لم أكن مخطئاً يوسف صايغ كتب مقالاً قال فيه لماذا هذا الخلاف! توحدوا حول الهدف ولكنكم ستكتشفون بعد 20 أو 25 عاماً أن "إسرائيل" لن تقبل بذلك.

وقد تمّ الالتكاء على فكرة الحل المرحلي وثقافة الحل السياسي للقضية إلى المحطة الأخطر التي عمقت مأزق الحركة الوطنية الفلسطينية وأدخلتها في نفق مظلم عندما تم القفز نحو اتفاق أوسلو الذي شكل باعتقادي كارثة للقضية الفلسطينية وأدخلنا مرحلة جديدة بكل معنى الكلمة قسمت الشعب الفلسطيني من قمة الرأس حتى أحمص القدمين. وما زالت الأزمة تتعمق وتتخذ أبعاداً شاملة ارتباطاً بهذا التحول الخطير.

وتم ضرب وتمزيق الفكرة التوحيدية الجامعة للشعب الفلسطيني أي م.ت.ف وميثاقها وحتى برنامجها المرحلي كما أقرته وثائق المنظمة؛ حق العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة، كخطوة على طريق تحقيق الهدف الاستراتيجي. وكذلك تم إخراج أهلنا في أراضي الـ 48 من المعادلة، وطرح علامة سؤال كبرى حول مصير اللاجئين في الشتات؟

أوسلو رسخت ورسمت التنازل الفلسطيني عربياً ودولياً وأوجدت واقعاً جديداً حيث تم الاعتراف بحق "إسرائيل" في الوجود، وتم ضرب ميثاق م.ت.ف وهي الإطار الجامع والموحد للشعب الفلسطيني فلم تعد كما كانت وتحولت إلى إطار شكلي. أصبح الرهان عند القيادة الرسمية على عوامل خارجية ودولية وإقليمية وليس على العامل الذاتي الفلسطيني.

- القضية الفلسطينية والمقاومة تم ابتداعها من عمقها العربي وأصبحت قضية قطرية ومسؤولية فلسطينية وليست القضية المركزية للأمة.
فمؤتمر الرباط سنة 1974 جعل م.ت.ف ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وهو شعار حق يراد به باطل، وخدعة مدروسة للتخلي عن المسؤولية العربية، لتصبح قصة تخص الشعب الفلسطيني وحده، ليصبح المقال نقبل بما تقبل به قيادة م.ت.ف.
- ومما عمق المأزق أيضاً هو العلاقة مع الأنظمة على حساب الشعوب.
- "أوسلو" هو نهج سياسي وفكري واقتصادي، ترتبت عليه نتائج في غاية الخطورة دفع ثمنها الشعب الفلسطيني غالياً، وفي مواجهة أوسلو تعمق مأزق الساحة الفلسطينية.

- كان يمكن لبرنامج مقاوم ومناهض بشكل جذري لهذا الخط أن يضع الوضع على السكة الصحيحة. ولكن انخراط حماس في السلطة وفشل قواعد اليسار في تشكيل إطار فاعل وقوي

ساهم في تعميق المأزق، وأدى إلى ركود في الحالة الشعبية ونوع من الضياع في الظروف الراهنة.

- "إسرائيل" تخطط لانسحاب أحادي الجانب من الضفة بعد تشكيل ما سمي بحكومة الوفاق الوطني (نتنياهو - موفاز).

- تم الوقوع في أخطاء ذات طبيعة استراتيجية، على حساب العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك، حيث انهارت الاستراتيجية لصالح تكتيك مرتبك.

- يقال أمام هذا المأزق أن كل الخيارات مفتوحة ما عدا؛ حل السلطة، المقاومة المسلحة، إنهاء الالتزامات الناجمة عن أوسلو على الرغم من أن "إسرائيل" لم تطبق هذا الاتفاق بالرغم من كل مساوئه.

- مركز الثقل للثورة كان لفترة طويلة في الخارج مع إهمال الداخل، وجاءت انتفاضة 1987 فغيرت المعادلة، ولكن بعد أوسلو تم الوقوع بخطأ معاكس، حيث انتقل الثقل إلى الداخل وتم إهمال الخارج وأهل الـ 48.

إضافة إلى عوامل أخرى أسهمت في تعميق الأزمة تتمثل في: البعد التنظيمي، مسألة الاستقرار في القرار، عدم وجود قيادة جماعية، وفقدان الديمقراطية، إنهاء الانقسام ومراجعة الإطار القيادي للمنظمة، التي وقعت اتفاقات لا يتم تنفيذها.

- والمقاومة المسلحة وصلت إلى المأزق بسبب العوامل السياسية، كما أن جميع القوى لديها مأزقاً أيضاً.

المعالجة:

إن المعالجة تكون بالأمور التالية:

- الاقتناع بأنه أن الأوان لوقف ذات طبيعة استراتيجية، وإنهاء منهج العمل يوم بيوم، ونرى ضرورة لرسم رؤية واستراتيجية جديدة.
- أدعو لمؤتمر وطني شامل من الفصائل والقوى وشخصيات أكاديمية ومتقنين وفاعليات، وانظروا كيف يقيم العدو هرتسليا كل عام.
- إنهاء الانقسام وفق رؤية سياسية وتنظيمية واضحة.

- إعادة الاعتبار لمنظمة التحرير.
- إعادة البعد العربي والإسلامي والدولي العالمي للقضية.
- اعتماد المقاومة كخيار استراتيجي بسبب استحالة الوصول لحل سياسي مع الكيان الصهيوني بسبب طبيعته وتركيبته.
- إعادة الاعتبار لشعار تحرير فلسطين. في لقاء مع الرئيس التونسي المنصف المرزوقي، قلنا له في ثورتكم رفع الشعب شعار "الشعب يريد تحرير فلسطين"، نريد أن يُعمل له، وفي مصر بعد فوز د. مرسي لا أفهم لم الحديث عن الالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات، نريد نهجاً جديداً وإعادة الاعتبار لهذا الشعار.